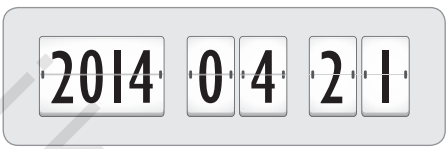

دخلت هيلاري غرفة استشاراتي باكية، ومسحت الدموع المنهمرة على وجنتيها، راعني المشهد، تساءلت عما حصل. عمليًّا مرضاي جميعهم بكوا، إلا أنني قلقت أكثر عندما وجدت هيلاري باكية؛ فهي لا تبكي بسهولة.

قالت بصوت مخنوق: كنت أفكر عما كنت سأتحدث عنه معك اليوم فتذكرت، مع عظيم حزني، أن أمي؛ دوروثي رودهام، ماتت في واشنطن بتاريخ 2011/11/1م/ ألغيت رحلة مخططة إلى المملكة المتحدة وتركيا، لأكون معها وهي على فراش الموت.

توقفت وبقيت صامتة لبضع لحظات بدت لا نهائية بالنسبة إلي، ثم قالت بصوت مرتعش: في النهاية ضغطت على يدها وقلت لها: أحبك. هي أيضًا ضغطت بلطف على يدي وقالت: «أنا أيضًا أحبك يا هيلاري، أكثر من أي شخص في العالم»، ثم أغمضت عينيها للمرة الأخيرة، كان انهياري كاملًا وعجزت عن العمل لأسابيع. كما تعلمين يا دكتورة، أحببت أمي بعمق، وكنت أعرف أن علي أن أتماسك كرمى لعين تشلسي ومن أجل البلد، غير أني لم أكن أعرف كيف سأتمكن من أداء وظائفي من دون أن تكون أمي متابعة لما أفعله من خلف الستارة، كانت موجودة دائمًا دعمًا لي، بصرف النظر عن مدى هول

obeikandl.com

المشكلة؛ كان الحديث معها عن الأمور يشعرني دائمًا بأنني أفضل حالًا؛ كانت صديقتي، ومعلمتي، وولية نعمتي، ومستشارتي الأفضل. فقدان أمي كان أسوأ خسارة أتعرض لها في حياتي.

سأل بل عما إذا كان احتمال رؤيتي لأمي ثانية ذات يوم كافيًا، نظرًا إلى إيماني بحياة أخرى. لا، لا شيء كان كافيًا، ولكنني كنت بطريقة ما، ربما بفضل ما كانت قد أضفته علي من قوة، قادرة على الإفادة من طاقات مجهولة المصدر وصولًا إلى الالتحاق بركب العالم شيئًا فشيئًا.

أغمضت عينيها وفتحتهما لتتابع الكلام متحدثة عن موضوعات أقل عاطفية. تمكنتُ من رؤية (ميزان زئبقها) مساهمًا في إعادتها إلى التوازن.

حين بدأت مظاهرات 2011م إلى 2012م الروسية، بدأتُ في 2011م احتجاجًا على نتائج الانتخابات الروسية، كنت بالغة الصراحة حول افتقار الروس إلى عمليات ديمقراطية؛ قلت إن الشعب الروسي جدير بأن يُسمع وبأن تُحصى أصواته الانتخابية، أضفت أن المقترعين الروس جديرون بتحقيقات شفافة وشاملة للكشف عن التزوير الانتخابي المحتمل، وبالمقابل سارع رئيس الوزراء الروسي فلاديمير بوتن إلى انتقادي علنًا، متهمًا الولايات المتحدة بدعم المحتجين الروس ماليًّا وبصب الزيت على نار الاحتجاجات، وحين فاز بوتن بالرئاسة الروسية في آذار/مارس عام 2012م، أراد بعض المسؤولين في وزارة الخارجية أن أبادر إلى شجب السياسة الروسية ثانية غير أن البيت الأبيض تفوق عليهم، اعتقدت رغم هجوم بوتن عليَّ، أن من شأن الاكتفاء بقول: «ثمة فائز واضح في الانتخاب، ونحن جاهزون للتعاون مع الرئيس المنتخب بوتن» أن يوقف كل أشكال التقاذف بالاتهامات.

أوائل كانون الأول/ديسمبر عام 2011م، قمت بالزيارة الأولى لوزير خارجية أمريكي إلى بورما منذ توقف جون فوستر دالاس هناك في عام 1955م، توسلت دعم إصلاحات عام 2011م الديمقراطية البورمية، والتقيت القادة البورميين

جنبًا إلى جنب مع زعيمة المعارضة آونغ سان سو كيي، ولأننا؛ سو كيي وأنا، كنا على صلة فيما بيننا لسنوات، وجدتني شاعرة كما لو كنت أزور صديقة لم أرها منذ سنوات، وإن لم يكن ذلك سوى لقائنا الأول.

سأقول لك المزيد عن ذلك في الجلسة القادمة؛ فعلاقتنا بالغة الأهمية بنظري، وتستحق وقتًا يخصها.

أدى تطاولي إلى بورما – بالطبع – إلى استثارة الانتقاد، إذ راحت عضوة الكونغرس اليانا روس–ليهتينن تقول إنها وجهت رسالة غير صحيحة إلى حكام بورما العسكريين الأوغاد، آخرون قالوا إن زيارتي قامت على المزاوجة بين المثالية وفن السياسة؛ إذ حاولت إبقاء بورما خارج دائرة النفوذ المباشر للصين، وقد تعين علي أن أتغلب على معارضة البيت الأبيض والبنتاغون، جنبًا إلى جنب مع معارضة زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل؛ كي أتمكن من القيام بالزيارة. شخصيًّا ناشدت أوباما وفزت بموافقته، أظن أن من الصعب عليه أن يقول لي: لا. ولميشيل العملاقة أيضًا، ربما.

حين سئلت عما إذا كنت أرى أن النظام البورمي كان سيفي بتعهداته الإصلاحية، عبرت عن عدم قدرتي على التنبؤ بما كان سيحصل، إلا أنني أكدت أهمية وقوف الولايات المتحدة مع الإصلاح الديمقراطي، وأضفت (بذكاء، أعتقد)، «إنه الموعد الأول، ليس زواجًا، ومثل كل المواعيد لا أحد يستطيع أن يتنبأ بالمصير الذي سيقود إليه».

كذلك واصلت مقاربة هواجس الحقوق؛ حقوق المثليين في هذه الحالة، في خطاب ألقيته في كانون الأول/ديسمبر عام 2011م أمام لجنة حقوق الإنسان الدولية، قلت إن الولايات المتحدة ستقف في صف حقوق المثليين في الخارج. (حقوق المثليين هي حقوق إنسان)، قلت على نحو عفوي في تصريح ما لبث أن أصبح ذائع الصيت. و(لن أكون جريمة أبدًا إذا كنت مثلية). أدى هذا – بالطبع – إلى استجرار فيض من الانتقادات الخبيثة.

في نهاية العام عاود الأمريكيون من خلال (غالوب) إعطائي لقب المرأة الأكثر إثارة للإعجاب في العالم، تلك كانت المرة العاشرة على التوالي والسادسة عشرة إجمالاً، إذا ظلوا يفعلون هذا فقد يتعين علي أن أصدقهم.

obeikandl.com